أسم المادة الدراسية

التفسير

أسم التدريسي واللقب العلمي

م.د قاسم الموسوي

المرحلة الدراسية

المرحلة الرابعة الصباحي والمسائي

السنة الدراسية

٢٠٢٣-٢٠٢٤م

كلية الطوسي الجامعة

قسم التربية الاسلامية

المرحلة الرابعة

التفسير

اعداد

م.د.قاسم الموسوي

المحاضرة الأولى

المدخل: الاطار العلميّ لعلم التفسير.

تعريف علم التفسير

التفسير لغةً واصطلاحا :

اولا: تعريف التفسير في اللغة :

لدى علماء التفسير رُوى متعددة في تعريف مصطلح التفسير وكلٌ له مدخلهُ الخاص، للتعريف بحسب ما يراهُ، فمنهم منْ يذهب الى الجذر اللغوي، ومنهم من يرى البِنيّة الصرفي ووزنها هي المُعَرّف الأساس في تعريف هذا المصطلح، ومنهم يَرَى الأستعمال فيه بحسب إختيار اللفظ.

1. يرى أحد الباحثين([1]) بان (التفسير) مفردة أشتقت أما من (فَسَرَ، او سَفر) تأتي معنى (الفَسَرَ) اما مصدرا عن ابانة وكشفى المغطى ([2])، او فسرت الدابة اي ركضت([3])، او بمعنى التفسرة اي قليل من الماء([4]).

اما الثاني: لمعنى (التفسير) مقلوب جذر (السفر) اي سفرت المراة سفوراً، تقول اسفرَ الصبحُ اذا اضاء. ([5])

2. ومنهم من قال بان (التفسير) اي (فسّر) بتشديد السين جاءت للدلالة على التكثير تنزيلاً لما يعانيه المفسّر من كدّ الفكر لِتحصيل المعاني الدقيقة ثم أختيار أنسب الالفاظ لتأديتها.

أما بتخفيف (الفَسَرَ) جاءت بمعنى الإبانة وكَشفَ المغطى والتفسّير كَشْفَ المراد من اللفظ المشكل.([6])

3. ويقترب من هذه الاقوال الشيخ جعفر سبحاني بان التفسّير وإشتقاقه (الفَسَرَ والسَفْر) متقاربان بالمعنى ولكن تفترقا في الاستعمال فيستشهد بقول الراغب الإصفهاني على أنّ (الفَسَرَ)([7]) يكون بمعنى اظهار المعنى المعقول، و(السَفر) ابراز الاعيان للابصار نحو اسفر الصبحُ.([8])

---

[1]. محمد حسين علي الصغير: المبادى العامة لتفسير القران الكريم/ ص15- 15.
[2]. ينظر: ابن منظور: لسان العرب/ 361/6.
[3]. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القران: 2/ 147.
[4]. ينظر: السيوطي: الاتقان: 167/4.
[5]. ينظر: السيوطي: المصدر نفسه.
[6]. ينظر: كمال الحيدري: اللباب في تفسير الكتاب، 1/ 7.

4. فيكون أغلب راي علماء التفسير قد إستقر على أنَّ معاني التفسير هي: معاني كشف المغطى وتوضيح معاني الالفاظ والعبارات، ويمكن أيضاً الإفادة من وزن تفعيل (تفسير) بمعنى المبالغة فيكون كشف معاني الالفاظ والحقائق المستورة.([9])

5. ويَذْكُر احد الباحثين أيضاً بان كلمة (فَسَرَ) هي كلمةٌ ليست عربية الأصل، أي أنّ بعض المستشرقين لا يرونها عربية فهي دخيلة في اللغة العربية وقد تكون متأتيةً من اللغة الارمينية أو السريانية أو النصرانية على أنّ كلمة (فَسَرَ) ماخوذة من (سَفْر) وهي مقلوب عنها والتي تحمل معنى الكشف وازاحة الستار والغطاء .([10])

ثانيا: تعريف التفسير اصطلاحا:

التفسير كمصطلح يمرّ بلحاظات عدّة، ويكون منها وظيفة عملية في مجال التعامل مع القرآن الكريم وآياته، فما يسمى (بالنظام التفسيري) ويقصد به الوظائف التفسيرية التي يُحققها من (فعل المفسر من آليات لكشف تلك المعاني والقواعد يمكن الاستناد عليها، والتفسير هو ذلك الكتاب الذي يقوم بوظيفة البيان للنص القرآني وبنيّته وشرح آياته، وعلم التفسير الذي يكون مختص بتعريف العلم وهدفه وأصوله ومبادئه)،

وبما ان عملية الاستنباط والتحليل لكشف معاني النص تتطلب ثلاثة اركان من المشتغل بهذا المجال القرآني

اولا: التفسير (فعل المفسّر): ويوضع آليات لكشف تلك المعاني والقواعد يمكن الأستناد عليها

ثانيا: التفسير: ذلك الكتاب أو الشرح الذي وضع لبيان آيات القرآن الكريم.

ثالثا: التفسير (علم التفسير): اي ما يشمل الأركان المعرفية لعلوم القرآن وموضوعاتها ومسائل علم التفسر والمبادئه العامة والفائدة المفيدة منه .

وما يخص دراستنا هو التفسيربمعنى (علم التفسير) لهذا سندرسُ دراسة موضوعية لبعض سور القرآن ضمن اسلوب منهجي في الغرض الكلي والاهداف والمقاصد للسورة المختاره.

---

[7] . ينظر: الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مادة (فسر).
[8] . ينظر: جعفر سبحاني: المناهج التفسيرية في علوم القرآن: 12
[9] . ينظر: محمود رجبي: بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم : ص16.
[10] . ينظر: حسين علوي مهر: المدخل الى تاريخ التفسير والمفسرين: ص 30

وكما بينّا ان (النظام التفسيري) يتكون من ثلاثة محاور هي (فعل المفسّر، والتفسير، وعلم التفسير) نرى التباين بين التعريفات بحسب هذه اللحاظات التي تبينت لدينا،كما وأنّ التعريف يكون في أغلب الأحيان خاضع لفعل المفسّرالذي يتناول النص للاشتغال عليه أيّ كوسلة أو عملية لبيان هذا الفعل التفسيري، **فَعَرّف فريق التفسّير بأنّه عملية أو وسيلة لبيان فعل المفسّر:**

إنبرى إلى هذا المجال الشيخ الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) فعرفه على انه : كشف المراد من اللفظ المشكل،([11]) وركز على هذا المضمون السيد الخوئي بانه: إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز...([12])، وهذا الايضاح يحتاج للوقوف على مقاصد الايات واغراضها، فعرف الطباطبائي التفسير: بانه بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومدلولاتها.([13]) وعرفه الدكتور الصغير بانه بيان مراد الله عز وجل من قوله في كتابه الكريم... وهو ارادة الكشف والبيان .([14]) وعبر عنه العطار بان ذلك الكشف والبيان: يكون لبيان معنى الاية وشأنها وظروفها بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.([15]) وهذا الكشف تطور بيانه عند السيد الخميني بان يكون: شرح مقاصد ذلك الكتاب، وتسليط المساحة الكافية من الضوء الكاشفة عن بيان المعنى الذي يريده صاحب الكتاب.([16]) ويمكن أن يكون هذا البيان مفاداً استعمالياً لايات القرآن وكشف مقاصد الله تعالى من هذه الآيات مستندا الى قواعد الآدب العربي وأصول المحاور العقلانية([17])، والسيد كمال الحيدري جعل البحث التفسيري عند فعل المفسر بحدود المكنة البشرية والسعة المعرفية للمفسر حول بيان مراد من كلام الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.([18])

وترى الفريق الثاني ينظر الى التفسير وآياته على أنّه علم وله مباحث ومسائل وأهداف فركز على هذا المجال وبينه مجموعة من العلماء فعرف التفسير على انه علم: فالطوسي عرفه بانه: علم معاني القران وفنون اغراضه من القراءة، والمعاني والاعراب والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وانواع المبطلين.([19])

---

[11] . ينظر: الطبرسي: مجمع البيان: 1/ 113.
[12] . الخوئي البيان في تفسير القران : ص397
[13] . محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القران: 1/ 7.
[14] . ينظر: محمد حسين الصغير: مبادئ العامة لتفسير القران الكريم : ص19.
[15] . داود العطار: موجز علوم القران: ص15.
[16] . ينظر: الخميني : الآداب المعنوية للصلاة: 284.
[17] . ينظر: محمود رجبي: بحوث في منهج تفسير القران الكريم: ص19.
[18] . ينظر: كمال الحيدري: اللباب في تفسير الكتاب : 1/ 8.
[19] . الطوسي: التبيان في تفسير القران: 1/ 2-3.

وقارب من ذلك الزركشي بتعريف التفسير على انه (علم نزول الاية وسورتها واقاصيصها، والاسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها، وزاد قوم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها)([20])

فتعمق ابو حيان الاندلسي في تعرفه عن التفسير وركزعلى تركيب الالفاظ واحكام النطق بها، فقال: (التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القران ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها التركيب وتتمالك لذلك)([21])

اما الشيخ السبحاني مازجه بين علم التفسير وفعل المفسّر بتعريفه قائلا: (هو العلم الباحث عن تبيين دلالات الايات القرانية على مراد الله سبحانه وتعالى).([22])

اما الفريق الثالث وهم اقلُّ من الفريقين السابقين فيرون ان التفسير عبارة عن معرفة وتخضع المعرفة الى المنهج، فالتفسير بمعنى منهج:

عرف الفناري التفسير على انه منهج: (التفسير معرفة احوال كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)([23])، أيّ أنّ المعرفة تتطلب من المفسّر منهجاً يتبعه في التفسير فيكون ذلك المنهج فهم وإفهام النص لايصله الى المتلقي من خلال توظيف المباحث العلمية لعلوم القرآن والمعارف الأخرى، والتوظيف الواعي للنص واستيعابه، اكد هذه الفكرة المنهجية الدكتور سيروان في كتابه (تاريخ القرآن وعلومه) مبيناً ان تعميق الفكرة على أن التفسير ليس مبحثاً من مباحث علوم القرآن، بل هو محصلة وثمرة لذلك الجهد المبذول عند المفسّر من المباحث القرآنية، بل عدّ التفسير منهجاً وهو (علم بالقرآن نفسه وفهمه وافهامه للاخرين)، وقسم مباحث علوم القران بانها مساعدة للفهم وان علوم الادائية اللغة والفقه والعربية وادابها علوم اجرائية تساعد في استظهار دلالة النص المعجز، اما العلوم التوظيفية هي آليات المفسّر ومدى وعيه وادراكه لتوظيف النص وبيان دلالاته ومقاصده.([24])

تبين مما تقدم ان التفسير اصطلاح عكّس الخلفية المعرفية لدى المفسّر فمنهم من استعمل لفظة(كشف، بيان، ايضاح ...) وهذه الافعال تدل على فعل المفسّر أمام معطيات النص، وهو المحور الاول من النظام التفسيري، ومن قال بانه (علم يبحث عن ...) فهو ينظر الى مسائل

---

[20]. الزركشي: البرهان في علوم القران 138/2.
[21]. الزركشي : البرهان 2/ 148.
[22]. جعفر السبحاني : المناهج التفسيرية في علوم القران: ص11.
[23]. احمد رضا: كملة مقدمة في التفسير، مقدمة لمجمع البيان للطبرسي 1/2.
[24]. ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابي: تاريخ القران وعلومه : ص3-4.

العلم وهنا المحور الثاني للنظام التفسيري (علم التفسير)، اما من قال بالمنهج او المعرفة كان ناظرا الى التفسير نفسه ككتاب او شرح معين وهو المحور الثالث في النظام التفسيري (التفسير).

هذا باللغة والاصطلاح أما في النقد والأدب، يكون معنى التفسير: (عملية كشف خصائص النص)(25)، فالناظر إلى اللغة والاصطلاح والأدب والنقد يجدها الكشف عن خصائص النص وما يبطن من بيان لموضوعات الكاشف عن مراد النص.

ولهذا نجد ان هذه التعريفات لمصطلح التفسير تتجه نحو هذه اللحاظات والوظيفية التي يمارسها كل باحث او مفسر من مصادره المعرفية.

او بعبارة اخرى التفسير يتوسع به بعضهم فيجعله متناول لكل علوم القرآن الكريم ويقتصر به بعض الأخر على الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها إفرادا وتركيباً وقسم ثالث يعود به إلى جملة ما في القرآن الكريم من مراد الله تعالى(26).

ولكن يرى بعض الباحثين أن الاختلاف حاصل في مجال عمله (ألا وان الاختلاف وقع في تحديد مجال عمل المفسر للقرآن الكريم سعة وضيقا، مما جعل تعاريف علم التفسير تتباين([27])، اي انه لا يتوسع في مجرد العلوم المستقلة فيدركها، أي مباحث التفسير كما انه لا يقتصر البحث في دلالة الآيات المفردة دون النظر في مناسبات الآيات ومظاهر الارتباط بين الموضوعات والأغراض الكلية للسورة المباركة.

---

[25] - الإسلام والأدب – د. محمود البستاني – الناشر المكتبة الأدبية – طبعة الأولى 1422هـ -ص 291.

[26]- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم- الدكتور محمد حسين علي الصغير -ص 16.

[27] . ينظر: غالب الناصر : الغرض الكلي في السور القرآنية: ص3.

المحاضرة الثانية

اهمية علم التفسير والغاية منه.

يَكشفُ لنا التفسّير أهمية كبيرة عند المفسرين من خلال المنهج المتبع في بيان معاني الايات ومقاصدها فقد ركز احد الباحثين على اهمية التفسير عن طريق ضبط المنهج التفسيري، اي يراد به تلك الأدوات الفنية التي تضبط البحث وتنمطه وفق الصيغ المالوفة في العلوم(1) كي لا يقع التفسير والمفسّر في الفوضى المعرفية والانسياق وراء عُرف غير منهجي يَخلُّ بالعلمية التفسيرية في جميع مراحلها التاريخية سواء كان ذلك في مرحلة التاسيس أو مرحلة ضبط مسائل العلم التي برزت متاخره ([2]).

وأهمية التفسير تضع الباحث أمام بداية العلم وتأسيسه لفهم حقائق ذلك العلم، فأن تأريخ التفسّير بأمكانه يكشف لنا ما خُفي من أمر التفسير، أو يقرب الانسان من الفهم الدقيق والعميق لمراد الله تعالى، من آيات القرآن الكريم.

كما وإنَّ هذه الأهمية تُبْرز صورة إعتناء علماء الاسلام بالقرآن وعلم التفسّير، ويتضح أيضاً تاريخ التفاسير ونقاط الضعف التي كانت تدفع سير التدوين والاهداف المبتغاة من التفسير في مراحله التاريخية وتضع لنا صورة واضحة المعالم في تلك التفاسير الاجتهادية ذات عمق تفسيري، وبين التفاسير التقليدية التي هي محض تكرار لما كتبت وبيان سطحية بعض التفسيرات المختلفة.([3])

حينما تقف امام النصوص القرآنيةعاجزين عن فهمها وسر اعجازها تبين لنا سر حاجاتنا الى التفسير من خلال بعض النقاط المهمة وهي:

1. ضعف المستوى العلمي لدى المخاطبين وتفاوت المستويات من حيث العلم والمعرفة بالمستوى المخاطب بعد(النبي(ص) وأهل البيت(ع)) والذين احتلوا أرقى مراتب العلم.

2. الفاصل الزماني والمكاني يبيّن المُخاطب به ونزول الآيات القرانية، اي ان معرفة أسباب النزول لها تاثير بالغ في استيعاب فهم الايات القرآنية وارداك مقاصد المعاني، مما شكل لدى المفسّر نسبية في فهم بعض النصوص وتفاوتها بين التفاسير، كما في سورة (المائدة/3) فان عدم الاطلاع على ثنائية النزول تحلل الاية نزول جزئية ومكياً كان أم مدنياً يقع المخاطب في فهم

---

1 . ينظر: كمال الحيدري: اللباب في تفسير الكتاب : 1/ 10.
2 . ينظر: المرجع نفسه.
3 . ينظر: المرجع نفسه.

خاطئ فينصرف الى أن يأس الكفار وإكمال الدين وإتمام النعمة، كله متعلق بتحريم اللحوم والمحرمات الوراد في الاية الكريمة.([4])

2. الحاجة لمعرفة الاحكام الكلية والمجملة في القرآن الكريم، ومن أجل فهم هذه الأحكام وتفاصيلها لابّد من الرجوع الى السنة الشريفة الموضوع بحصتها ضمن ضوابط علم الدراية والرجال .

ولقد ركز احد الباحثين المعاصرين على موضوع في غاية الأهمية في التفسير القرآني وأهمية بأن النص القراني عربي الا انه عالمي الدلالة، لا يختص بامة دون اخرى، ولا بزمن دون الازمان فتعدى بذلك حدود الزمان والمكان وتخطى التاريخية والمكانية بحياته الانسان يستوعبها كلها.([5])

ومن هذا النص- القران الكريم- اصبح معجزا تحدى بالله الامم والشعوب والقبائل بما جاءت به من حسن النظم والتاليف والبلاغة وفن القول وبيان الشرائع والاحكام وشروط قصص واحاديث المضين وما سيقع في المستقبل من احداث.([6])

تتمّة في أهمّيّة علم التفسير

قال تعالى في كتابه العزيز: {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**}[7]، {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**}[8]، فالقرآن الكريم كتاب هداية للإنسان، يشتمل على كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وآخرته للوصول إلى الكمال والسعادة الحقيقيّة.

ويكمن وجه الحاجة إلى علم التفسير في أنّ الله إنّما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كلّ رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم. وكلّ من وضع من البشر كتاباً، إنّما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنّما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنّف، فإنّه لقوّته العلميّة يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربّما عسر فهم مراده، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفيّة. ومن هنا، كان شرح بعض الأئمّة تصنيفه أدلّ على المراد من شرح غيره له.

---

4 . ينظر: محمد علي رضائي الاصفهاني: منطق تفسير القران اصول وقواعد التفسير: ص31-33.
5 . ينظر: محمد حسين علي الصغير: مبادى العامة في تفسير القران الكريم: 24.
6 . ينظر: المرجع نفسه.
7 سورة البقرة، الآية 2.
8 سورة البقرة، الآية 185.

وثانيها: إغفاله بعض تتمّات المسألة أو شروط لها اعتماداً على وضوحها أو لأنّها من علم آخر، فيحتاج الشارع لبيان المحذوف ومراتبه.

وثالثها: احتمال اللفظ لمعان، كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنّف وترجيحه. وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط، أو تكرار الشيء، أو حذف المبهم، وغير ذلك، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك.

وإذا تقرّر هذا، تبيّن أنّ القرآن إنّما نزل بلسان عربيّ في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. أمّا دقائق باطنه، فإنّما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر

مع سؤالهم النبيّ ﷺ. ومعلوم أنّ تفسير بعضه يكون من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض"[9].

فوائد علم التفسير

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾**[10].

والبيّنات هي خصوص الشواهد والدلائل النيّرة التي ضمّنها الله تعالى في القرآن الكريم، ليستفيد منها طائفة خاصّة من الناس، وهم خاصّة أهل العلم والعمل، المستعدّين في أنفسهم لنيل الهداية الإلهيّة الخاصّة: **﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[11]، بعد أنْ كان القرآن هدى لطائفة أخرى، هي طائفة أدنى

---

9 انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، م.س، ج1، ص13-16، السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط1، بيروت، دار الفكر، 1416هـ.ق/ 1996م، ج2، ص462-464، معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، م.س، ج1، ص18-21.

10 سورة البقرة، الآية 185.

11 سورة المائدة، الآية 16.

من طائفة أهل العلم والعمل، ليس بمقدورها إدراك الحقائق النوارنيّة، بالحجّة والبرهان، بل بالتقليد والاتّباع[12]: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[13].

وبناءً على ما تقدّم، يمكن تحديد مجموعة من الفوائد المترتّبة على التفسير، وهي:

أ- الفائدة المعرفيّة: الكشف عن المعارف القرآنيّة.

ب- الفائدة الروحيّة: التمكين من الصفاء الروحيّ وتزكية النفس.

ج- الفائدة العقديّة: الكشف عن الرؤية الكونية الصحيحة والسليمة.

د- الفائدة الشرعيّة: الكشف عن نظام التشريع والتقنين.

هـ- الفائدة السلوكيّة: المساهمة في تحصيل السكينة والاطمئنان والاستقامة في السلوك.

و- الفائدة الحقليّة: الإعانة في الوصول إلى الرأي الراجح بين الأقوال التفسيريّة المختلفة.

أنماط التفسير

أ- التفسير التجزيئيّ أو الترتيبيّ أو الموضعيّ:

هو دراسة منفصلة للآيات القرآنيّة من دون مقارنة بين موارد استعمال الألفاظ والمفاهيم في آيات أخرى من القرآن الكريم، وإنْ استعان المفسّر فيه بآيات أخرى، ولكنّ همّه هو كشف المدلول اللفظيّ الكامن في الآية المبحوثة[14]. ويوجد نمطان متداولان من هذا التفسير[15]، هما:

- **التفسير الترتيبيّ السرديّ:** وهو الذي يكتفي فيه المفسّر بعرض الآراء التفسيريّة فقط، من دون تكبّد عناء التحليل والمناقشة لها. والمفسّر في هذا النمط من التفسير هو مجرّد ناقل، ولا يُطلَق عليه أنّه مفسّر إلا من باب التجوّز!

- **التفسير الترتيبيّ التحليليّ:** وهو الذي يقوم فيه المفسّر بعرض أبرز الآراء التفسيريّة وتحليلها ومناقشتها وتقويمها، ومن ثمّ ترجيح أحدها أو الخروج برأي تفسيريّ جديد.

---

12 انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج2، ص23.
13 سورة العنكبوت، الآية 43.
14 انظر: الصدر، محمد باقر: المدرسة القرآنية، بيروت، دار التعارف، 1981م، ص11.
15 انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، 1997م، ج1، ص7.

ب- التفسير الموضوعيّ:

هو دراسة تعتمد على المقارنة والموازنة بين موارد الاستعمال القرآنيّ للألفاظ والمفاهيم، من خلال التتبّع الكامل والتام لها، والخروج برؤية قرآنية في الموضوع المبحوث[16]. وتوجد ثلاثة أنماط متداولة من هذا التفسير، هي:

- **التفسير الموضوعيّ الحشديّ**: ويقوم فيه المفسّر بجمع الآيات التي تتناول موضوعاً معيّناً، ثمّ تصنيفها وتبويبها.

- **التفسير الموضوعيّ التحليليّ**: وهو الذي يقوم به المفسّر، بالإضافة إلى الجمع والتصنيف والتبويب، من خلال إجراء عمليّة تحليل للمعطيات القرآنيّة.

- **التفسير الموضوعيّ الحواريّ والاستنطاقيّ**: ويقوم فيه المفسّر، بعد الحشد والتحليل، بإجراء حوار مع القرآن الكريم، منطلقاً من مسائل وقضايا من الواقع المعاش، عارضاً إيّاه على القرآن ومحاولاً استنطاقه، في عمليّة حواريّة ثنائيّة بين المفسّر والقرآن، للخلوص إلى استخراج رؤية قرآنيّة في الموضوع المبحوث.

16 انظر: الصدر، المدرسة القرآنية، م.س، ص12-13، معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، م.س، ج2، ص1035-1043.

المحاضرة الثالثة

١. سورة الطور

التعريف العام بسورة الطور

تعد سورة الطور من السور المكية التي احتوت اغراضها موضوعات مختلفة بين اياتها عن اصول الدين العامة التوحيد الرسالة والبعث والجزاء وذكر قصص الانبياء السابقين مع اقوامهم وبيان حال المؤمن والكافر يوم القيامة وبيان نعم اهل الجنة وما عد لهم من النعم.

اسم السوره وترتيبها

اولا: اسمها عدد اياتها ترتيبها.

١. تسميتها: لعل اشتقاق اسم السورة من كلمة (الطور) التي هي بمعنى ذلك الجبل الذي كلم الله عليه موسى (ع)[١]

ووجهة التسمية لافتتاح السورة بذكر اسم الذي كلم الله (ع) عليه موسى (ع) وقد سميت السورة على اسم الجبل تكريماً وتشريفاً لهذا الجبل [٢]

٢. ترتيبها وعدد اياتها

وترتيب السورة هي السورة الخامسة والسبعون في ترتيب نزول نزلت بعد سورة نوح وقيل سورة المؤمنين، والثانية والخمسون في ترتيب المصحف الشريف.[٣]

عدد ايات السورة تسع واربعون اية وهي سورة مكية بأتفاق العلماء لان اغلب موضوعاتها تصب في ذكر يوم القيامة واهواله وذكر الامم السابقة وتفصيل عن الجنة والنار وبيان قدرة الله تعالى في خلق الموجودات وهذا كله منعلامات وصف السور المكية.

---

[١] . الطباطبائي: تفسير الميزان :١٩/٥.
[٢] . ينظر: الشوكاني فتح القدير: ١١٣/٥، القرطبي: الجامع الاحكام القران ٥٨/١٧.
[٣] . ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ج٣٥/٢٧.

فضل سورة الطور وموضوع نزولها

فضل سورة الطور وثوابها

روى جبير بن مطعم قال (سمعت النبي (ص) يقرأ فيالمغرب بالطورفلما بلغ هذه الاية (ام خلقومن غير شيء..... المصيطرون) قال كاد قلبي أن يطير. ([1])

عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله وابي جعفر عليه السلام: قال (من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والأخر)([2])

وعن النبي (ص): (من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنة)([3])

أما جوّ هذه سورة الطور هي مكية النزول،وقد نزلت بعد سورة السجّدة المكية، وخطابها ذات طابع قرأني عقائدي ورسميت فيه بعض الأيات لترسيخ العقيدة في قلوب المؤمنين من خلال التذكير بالوعد والبعث والحساب والايات يوم الأخر.

ففي ايقاع هذه السورة وفواصل الأيات نجد ما يناسب الالفاظ ومدلولها مع الصور البلاغة في رسم موضوعاتها بيان الحق والوعد والوعيد والتذكير يوم القيامة وبيان أهل الكفر وعنادهم في تكذيب بيوم القيامة ([4])

---

[1] ـ البخاري: صحيح البخاري: كتاب تفسير القران وباب قوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (ق:٣٩): ح٦/١٤٠ ٤٨٥٤.

[2] ـ الصدوق: ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: ص١٤٥.

[3] ـ الزمخشري: تفسير الكشاف: ١٥٦/٤.

[4] ـ ينظر: الطباطبائي في تفسير الميزان ج١٩/٥، سيد قطب: ضلال القران ج٦/٣٣٩١.

غرض السورة والتعريف بموضوعاتها:

بين لنا مجموعة من المفسرين سبب ورود اغراض السور في بداية تفسيراتهم وذلك من اجل بيان الموضوعات العامة الكلية والجزئية والمترابطة بالافتتاح والاختتام اي ما يسمى بعلم المناسب وهو علم: (في اللغة هي القرابه.... المقاربة المشاكلة والمشاكلة من الشكل وهو الشبه والمثل (٨) وفي الاصطلاح المناسب: هي العلاقة التي تربط ايات القران بعضها ببعض (٩) (١٠).

وهذا العلم كشف لنا طريقة في التفسير ماتسمى بالغرض الكلي الجامع للسورة من خلال اساس موضوعها العام فسورة الطور يمكن ان يكون غرضها بحسب قول الطباطبائي (انذار اهل التكذيب والعناد من الكفار بالعذاب الذي اعدلهم يوم القيامة فتبدأ بالانباء عن وقوع العذاب الذي انذاروا به ... ثم تذكر بتنذيره من صفة العذاب والويل الذي يعمهم ولايفارقهم ... ثم تأخذ في توبيخ المكذبين على ما كانوا يرمون النبي (ص) وما انزل عليه من القران وما أتي به من الدين الحق) (١١)

وهنا نوجز اغراض السورة ومقاصدها في شكل في سورة الطور.

١. التهديد بوقوع العذاب يوم القيامة للمشركين المكذبين بالنبي (ص) فيما جاء به من إثبات البعث والحساب بالقران الكريم على لسانه.

٢. تحقيق وعيد المشككين ومقابلته بوعد المتقين في الجنة، وذكر شيء من أوصاف الجنة ونعيم المؤمنين فيها.

٣. تحدي المشركين وأرباب الفصاحة والبلاغة بالإتيان بمثل القران الكريم في اسلوبه وروعة بيانه، وبيان العجز الحسي الذي أخرس البلغاء والفصحاء الذي أوصلهم إلى الطريق المغلق للعقول والألسن في مجابهة القران الكريم ومواجهة معجزة النبي محمد (ص).

٤. الحديث عن نعيم المتقين وما يتفكهون به في الجنان، وما ينالون من أصناف الإكرام والترحيب بهم على أبوابها، وما تقر به أعينهم من إلحاق ذريتهم بهم، ورفع درجتهم إليهم من غير نقص في حسناتهم ودرجاتهم.

---

٨ . ابن منظور: لسان العرب: مادة شكل، وقاموس المحيط: مادة نسب.
٩ . ينظر: لمصطفى مسلم: مباحث في تفسير الموضوعي /ص٥٨.
١٠ . ينظر: محمد بسام الشوكي: ابحاث في التفسير الموضوعي /ص١٦.
١١ . الطباطبائي تفسير الميزان : ١٩ /٥.

٥. تسفيه عقول المشركين وإعلان ضلالهم وسوء وتقدير وتنبئهم بالأمور على ما كانوا يصفون أنفسهم وعقولهم بالرجاحة والاتزان، فقد خطأهم الله ووصفهم بالطغيان والعناد مع ظهور الحق لهم.

٦. حث النبي (ص) على الاستمرار في الدعوة للناس كافة، والصبر على البلاء الذي قد يحل به (ص) وتطمينه بحفظ الله له ورعايته من كل ضرر وسوء، وعليه أن يتوجه بالعبادة لله وحده والمداومة على التسبيح والتحميد والذكر.

المحاضرة الرابعة

تحليل سورة الطور وبيان مقاصدها العامة .

وهنا يمكن أن نضع القارئ الكريم بصورة ومنهجية تحليلة لهذه السورة وبيان غرض كل مقطع نتاوله فيكون المنهج كالاتي:

اولاً: مناسبة السورة:

تعد سورة الطورمكية بنزولها تناسب مع ماقبلها من سورة الذاريات لنفس اسباب نزول المكي والسمات القرانية المشتركة في تحديد موضوعات العقيدة وتسميتها في نفوس المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية ونجد هذا التناسب الموضوعي من خلال الايات التالية:

قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)()، والطور في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ)()، كما نجد المناسب الاختتام في السورتين ستقارب بقول صفة الكفار (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا...)()(فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ)()،كما نجد المناسب في القسم الكونية في الطور والذاريات وكانت صفه التذكير بالمؤمنين على السان النبي (ص) قوله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ)() (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)()(فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ)()(فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ...)()

ثانياً: المعنى الاجمالي للسورة:

وتبدأ هذه السورة بالقسم الذي يهدف لبيان حقيقة يوم القيامة ويوم المعاد والحشر والحساب وهذاالقسم العظيم تخشع منه جوارح والقلوب تشمل القسم بالجبال والمدونات الالهية والصحف والكعبة المشرفة والخلق من السماء المرفوعة والبحار المملوة بالماء ليبيّن إنذار للمكذبين من الكفار يوم القيامة.

وهنا من اهم الذين يستحقون العذاب يوم القيامة فشخصهم بالمكذبين الذين تولوا عن القران باللهو واللعب والغفلة، بعدها انتقلت السورة الى الفريق الثاني من حال يوم القيامة الذين في جنات النعيم المتقين في الجنة فجعل الله لهم مكانة اضافها فاكهة ووقاهم العذاب وجزاهم الجنة ماثلين الاعين وتشبه الانفس ودار النعيم مقيم ودائم لا مقطوع ولا ممنوع اي مستقرة .

والذين امنو بالله ادخل الايمان الى قلوبهم وعملوا الصالحات في الدنيا واحسنوا جزيناهم بالحسنى في الاخرة والاستقرار في الجنة والخلود فيها .

ومن فضل الله ومنّه للمؤمنين الذين احسنوا يبين لهم جانباً من الفضل والنعم عليهم من الوان الرزق والطعام الشراب والحم الذي تشتهيه انفسهم من غير نقصان وهذا نوع من انواع النعم والتكريم .

فيعد كل هذا التفريق بين يوم القيامة والحساب والجنة والنعيم والمكذبين ثاني ايات الله عزوجل لبيان التذكير على الموعظة الحسنة والنصح وعدم الاصغاء الى السفهاء من الكفار قريش وغيرهم .

وكشف عجز المنكرين لوحدانية الله تعالى واستنكار وجودهم بأنفسهم عقلاً منافياً للواقع الذي خلقوا فيه والله هو الخالق الواحد لاشريك له.

وهنا نجد ان دعوة الله عزوجل للنبي(ص) باستمرار بدعوته للتبليغ والتقدير بالوحدانية لاشريك له دون اتخاذه البنين، وهي دعوة باطلة لنسب الله عزوجل الى البنات ودعوتهم الى بنين وهذا شان الدهريين في انكار للخالق وادعاءاتهم الباطلة دون الحقيقة.

وكل هذا التاكيد على الدعوة يصرّ المشركين على عدم صدق النبوة لمحمدٍ (ص) حتى لو راوا كسفاً من السماء فلن يصدقوا ولن يؤمنوا ويقولون هذا سحاب ممطر متراكم دليل على عنادهم وتكبرهم وطغيانهم.

وختام هذه السورة جاء مناسباً مع ما سيكون ما بعدها من سورة النجم أولاً ثم التسبيح والصبر للنبي (ص) على اذى هؤلاء القوم المعاندين وليس مبالين بحقهم وحق انفسهم، وأنك في حفاظنا وحراستنا. والتسبيح والذكر والصلاة لليلاً والمراد بيها صلاة الليل وقبل المغرب والعشاء .

ثالثاً : البناء اللغوي في السورة : ستكون هذه الفقرة مقتصرة على النكت العلمية في البناء اللغوي من بيان معنى الكلمات وبعض من حالات الاعراب واسرار البلاغة.

نجد في هذه السورة كلمة (الطور) بمعنى ذلك الجبل الذي كلم الله عليه موسى (ع) بمدين ()، وسع مابين مصر والعقبة ()[9]

(والطور) وشبهها واو القسم لتأكيد وتحقيق الوعيد ومابعده أقسام جوابها (ان عذاب ربك لواقع) (الطور/٧) و الواوات التي بعد الاولى عواطف لا حروف قسم()[10]

وكلمة (وكتاب مسطور) ويقصدبها مكتوب ومسطرومرتب الحروف فيها جمع من الكلمات متفقة وهو كتاب موسى (ع) وهو التوراة المناسبه ذكر الطور وقيل الكتاب اي القران أو هو الزبور أو الانجيل والقا به منه كتابه فيه اعمال الخلق أو الصحف التي تعطى للعباد باليمين او الشمال. ()[11]

(وكتاب مسطور) في الجانب البلاغي ونكر(كتاب) للتفخيم من أمره أو الأشعار بنه ليس من يتعارف الناس عليه. ()[12]

(والسقف المرفوع) يقصد بها السماء المرفوعة المرتفعة وسميت السماء سقف لكونها بمثابة السقف للأرض كما قال تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن أياتها معرضون) (الانبياء/٣٢) فنرى هنا التشبه اخذ مساحته بتسميه السماء بالسقف على طريقة التشبيه البليغ بحذف اداة التشبه فيه. ()[13]

(إن عذاب ربك لواقع) هذه البناء التركيبي فيها (إن) واسمها (عذاب)وخبرها (واقع) جواب القسم وجاءت كلمة لواقع مجازاً للتحقق وشاع ذلك ()[14]

وكلمة هذا التأكيد في التركيب المنصوب من الخبر تأتينا (إن ماله من دافع) اي واقع غير مرفوع اي أن صفة قد تأتي لذلك الواقع ()[15]

---

[9] . ينظر : الزحيلي بتفسير المنير ٥٢/٢٧.

[10] . أرض الشام على ساحل البحر الأحمر، وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى (ع) لسماثة شعيب (ع) وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب (ع) وهي في الطريق من مدينة النبي (ص) إلى مصر وهي بين جبال شامخة متكاثرة..(ينظر: ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار (ص: ٥٢٦)).

[11] . ينظر الدرويش : اعراب القران وبيانه، ٣٢٨/٩، الطبرسي /مجمع البيان ٢٧١/٩.

[12] . ينظر: ابو حيان بحر المحيط /٥٦٦/٩، النسفي مدار التنزيل /٣٨٢/٣.

[13] . ينظر: الهروب وصدق الروح والريحان /٨٢/٢٨.

[14] . ينظر: ابن عاشور والتحرير والتنوير (٣٩/٢٧).

[15] . ينظر ابن عاشور: التحرير والتنوير (٤٠/٢٧).

والمعنى ابعاد شيء عن شيء باليد واطلق مجازاً عن عذاب الله والوقاية منه بشفاعة اومعارضة لا باليد ولا غيرها. ()[١٦]

وظرفيه الواقع وكيفيته في قوله (يوم تمور السماء مورا) هنا تأكيد على فعلية التحقيق الفعلي بالمصدرية (غمور، تسير، موراً، سيراً) ولا افعال في المجاز وهو واقع حقيقي. لذى ترك السجع والاجناس وافق الفاصلة قوله (موراً، سيراً) والسجع يبين لطاقة تحقيق دون تحمل تأويل (بالواقع، والواقع). ()[١٧]

(فويل) الفاء جواب الجملة السابقة التركيبية من ان واسمها وخبرها العقاب الواقع وصورته الحقيقة لمن كذب فربط لقاء والويل يدل على السوء والمشقة والشر وسوء الحال.

وجملة (في خوض يلعبون) جاءت (في) ظرف مجاز ملابسة الشديدة عن جملة الحال الذي خاضها اللاعبون، اي جملة حالية.()[١٨]

نرى (أَ فَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ، اصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا...) هذا التركيب فيه اهانة وتوبيخ وتقريع للذين استنكر منهم الله تعالى فقدم (أَ فَسِحْرٌ هذا...) الخبر على المبتدا استفهام عن النبي (ص) واتهامه بالسحراي كنتم تقولون للوحي (هذا سحر) وقد دخلت الفاء لهذا المصداق وتاكيد المعنى.()[١٩]

التركيب في جملة التاكيد (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) عرض المتقين ونكّر (جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) للتعظيم فجاء التنوين عوض للتفخيم هذا التعظيم من اجل المعرف به المتقين فعلامة الاعراب والبلاغة اعطى صفة التنوع الاسلوبي في الدلالة ()[٢٠]

وحالهم متنعمين من خلال تفكههم اي متنعمين بما بفاكهة كثيرة من خلال حلا وقائهم من عذاب الجحيم وتقدير الجملة يكون وقاهم عربهم عذاب الجحيم وهو حال من المتقين.()[٢١]

ويمكن ان ترى التكرار لفظة (ربهم) يفاد منه الزيادة والعناية بهم اي (وقاهم ربهم) تاكيد لفظ على العناية بهم من الجحيم من حال المتقين()[٢٢]

---

[١٦] . ينظر: السمين الحلبي / الدر المصون(ج١٠/٦٤).
[١٧] . ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير :٧/٤٠..٤١.
[١٨] . ينظر: الزحيلي: تفسير المنير :٢٧/٥٥.
[١٩] . ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٢.
[٢٠] . ينظر: الزمخشري: الكشاف ٤/ ٤٠٩.
[٢١] . ينظر: الزحيلي: تفسير المنير: ٢٧/٥٥.
[٢٢] . ينظر: ابن عاشور: تحرير التنوير: ٢٧/ ٤٦.
[٢٣] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٩/ ٨.

ومن دلالة (هنيا) جاء على وزن فعيل بمعنى فعول، اي وصف للمصدرين (كلوا واشربوا) اي اكلاً وشرباً هنيئاً وتراباً هنيئاً، فـ(هنيئاً) جاءت وصف قائم مقام المفعول به او المفعول المطلق، ويمكن ان يتبين هذا المعنى اكثر وضوحاً دلالةالباء في اسم الموصول التي تكون بمعنى السبب، وبسبب الذي كنتم تعلمون.()[٢٧]

وحالتهم متطئين في حالت اكلهم وشربهم اي كلوا واشربوا حال كونهم متكئين.

(وَما أَلَتْناهُمْ) من ألت بألت والا لت بمعنى النقص، اي وما انقصناهم من ثواب اعمالهم من شيء **(مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)** هنا (من) الاولى للتبعيض وهي متعلق (أَلَتْناهُمْ) و(من) الثانية زائدة وجاءت فكرة لتقيد العموم والشمول، اي ليس كل الاولاد بل الصغار منهم.()[٢٨]

(كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) جاء التشبيه مرسلاً مجملاً لانه بصيغة حال الذين يطوفون عليهم وحذف وجه الشبه فصار مجملاً حيث شبه الغلمان من حسن صورتهم ومال هيئتهم بالؤلؤ الابيض الناصع.()[٢٩]

(إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) ضمير الفصل(هو)أفاد الحصر لقصر صفة الرحمة لله تعالى فقط وهنا ايضا افاد الحصر مبالغة هذه الصفة بالنسبة لله عزوجلوانه لا غيره يبلغ هذه المكانة في البر والرحمة ودوامها في الدنيا والاخرة.

(أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) جاء هنا الاستفهام وليس عطفاً وعلى المعنى استمرار اتهامهم للنبي(ص) بانه شاعر فـ(فعل المضارع) دلالته على تجديد ذلك القول منهم والاستمرار بالاتهام والدليل على ذلك المبالغة في التشديد التربص تشديد الباء وهو الانتظار والاستعارة في (ريب المنون) جاء يدلل على المعنى التقلب وعدم الاستمار على حاله واحد في شكلهم بالنبي(ص) وزواله عنهم التربص به.()[٣٠]

(أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) هذا الاحلام قريش يدعون انهم ذور عقول واحلامهم وهذا الاية تدل على اسلوب تهكميّ يعقول المشركين والسخرية منهم وامرا الاحلام باقوالهم مجاز عن أدائها اليه.()[٣١]

---

[٢٧] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٩/ ٨.
[٢٨] . ينظر: الدرويش اعراب القان وبيانه: ٩/ ٣٣٣.
[٢٩] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٩/ ٨.
[٣٠] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير: ٢٧/٦٢.
[٣١] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير: ٢٧/٧٣.

(**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ**) اللام هنا جاءت في امر التحدي والتعجيزعلى سبيل الحكاية في قوله تعالى لسورة البقرة (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)[٢٩] على وجه الاعجاز والتحدي وبلسان ابراهيم (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)()[٣٠]

(**أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ**) تقديم قوله (لكم) على قوله (البنون) لافادة الاختصاص، اي لكم البنون فهم لهم بنين وبنات حسب ادعائكم بانكم اقوى منه كي يرد قول او خطاب النبي(ص).

وتقديم (له) على المبتدا (البنات) للاهتمام باسم الجلالة .()[٣١]

(**أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) هنا (ما) في قوله تعالى (عما يتركون)يحتمل ان تكون مصدرية بمعنى (عن اشتراكهم) ويتحمل ان تكون خبرية بمعنى عن الذين يشتركون.()[٣٢]

وقوله : (**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ**) جاءت في هذ الاية اسلوب الغرض والتقدير اي لو راوا ذلك لقالوا ما قالوا.()[٣٣]بمعنى اصرارهم على الكذب للدعوة الحقة حيث اذا روا قطعة من السماء ساقطا عليهم لقالوا سحاب متراكم ليس من اية العذاب في شيء.()[٣٤]

وجاء في قوله تعالى: (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) واليوم هنا يقصد به يوم القيامة وملاقاته لليوم استعارة لوقوعه، حيث شبه اليوم وهو الزمان بشخص غائب على طريقة الاستعارة المكنية واثبات الملاقاة اليه تخييل، و(الذي) جاءت للتنبيه على خطأ المنكرين من الكفار انكاره.()[٣٥]

وقوله تعالى: (**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**)واصبر لما امرك ربك ويقال اصبر على تكذيبهم او لتعليل الصبر للنبي(ص) من الاذى الذي كان يلحق من الكفار، وهذه المعاني متأتة من قوله (لحكم ربك)اللام يجوز ان تكون بمعنى (على) تكذيبهم

---

٢٩ . البقرة : ٢٣.
٣٠ . سورة البقرة : ٢٥٨
٣١ . ابن عاشورة: التحرير والتنوير :٢٧/ ٧٨
٣٢ . ابن عادل : لباب العلوم الكتاب ١٤٦/٨٨.
٣٣ . ينظر: الزحيلي: التفسر المنير: ٢٧/ ٨٤.
٣٤ . الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٢/١٩.
٣٥ . ابن عاشور : التحرير والتنوير: ٢٧/ ٧٩.

فيكون لتعدية فعل(اصبر) ويجوز ان يكون معنى اللام (الى) واصبر الى اين يحكم الله بينك وبينهم، ويجوز ان تكون للتعليل(لحكم ربك) اي ما حكم به رسالة الى الناس لانك تقوم بما وجب عليك.([٣٦])

وفي قوله تعالى: **(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** انك في حفظنا وحمايتنا وبمراى منا نراك بحث لا يخفى علينا شيء من حالك ولا نغفل عنك ([٣٧])والضمير هنا يدل على غاية الاغنياء بالحفظ والعين هنا مجازٌ عن الحفظ والضمير (انا) فائدة المبالغة في الحفظ.([٣٨])

رابعاً: مقاصد سورة الطور:

(وَالطُّورِ (١) وَكِتابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ (٧) ما لَهُ مِنْ دافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً (٩) وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً (١٠))

في البدء نرى المناسبة قد حضرت في خاتمة سور الذاريات مع سورة الطور، اي في علم المناسبة نرى تصوير المشهد في السورتين يقع في القول والمقصد من ذكر المشترك بذكر المكذبين فقوله **(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)**([٣٩])مع مناسبة قوله: **(فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)**([٤٠]):

فالمشهد مشترك في طائفة الذين كفروا وتصويره من خلال المناسبة واثبات العقوبة والتاكيد عليها بالقسم الوارد في بداية سورة الطور التي تبدأ بالقسم ضمن امور وهي اهوال الاخرة ومايلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرهيب والقسم يدل ان العذاب واقع بالكفار لاحماله ولا يمنعه مانع والسورة يتبين الخيار للانسان من خلال اختياره مع الوصف الحاضرة عنده من موقف الكفار.

وفي هذا القسم جاء تبين لعظمة الله عزوجل وهذه الامور الخمسة التي قسم بها الله تعالى من الطور والبيت المعمور والبحر المسجور والسقف والكتب المنزلة تدل على انها ذات اماكن ثلاثة انبياء محمد موسى يونس(ع) وهي اماكن انفردوا بها مع ربهم من خلال المناجات وخطاب الخالق عزوجل.

---

[٣٦]. ينظر: السمرقند: بحر العلوم ٣٥٧/٣، السمعاني : تفسير السمعاني: ٥/ ٢٨١، ابن عاشور : تفسير التحرير وتنوير: ٨٣/٢٧.
[٣٧]. ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٣/١٩.
[٣٨]. ينظر: الزمخشري: الكشاف: ١٨٣/٣، الالوسي: روح المعاني: ٤٠/٢٧.
[٣٩]. الذاريات: ٦٠.
[٤٠]. سورة الطور: ١١.

وقد حمل هذا القسم معاني عدة في تفسيرها تدل على الاعجاز وتقرير اللوح المحفوظ وكشف الستار عن بيت في السماء وان الماء يتحول الى امواج عاتية تحمل الغضب من الله عزوجل، وقد تكون هذه البحار تسجر نار جهنم لتحرق بها الكفار والمكذبين كقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ)([٤١])

وتنقسم هذه الاشياء الثابتة فان عتاب الله عزوجل ثابت ومستقر على الكفاروالمكذبين لا محاله من ذكر اهوال يوم القيامة.

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (١٤) أَ فَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (٢٥) قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

ان من يقع عليه العذاب لا شك ولاريب في تحقيق ذلك اليوم ووقوعه وهذا الفرص الاساس من السورة في ثبات ذلك العذاب على نفسه ولكن سيعذب الكفار الذين توعدهم بالعقاب الاخروي.

بعدها بين الله عزوجل فضله ومنّه على اهل الايمان والتقوى بادخالهم لجنة، واستجابة الدعاء بالخير بلفظة(هنيئاً) لمن اكل او شراب شيئاً، تاسياً باهل لجنة، واعدّ لهم دار تسمى الثواب لتكون لهم دار اقامة خالده ليسعدوا ويتنعموا فيها.

والذين امنوا ألّحق الله بهم ذريتهم لتقر بهم اعينهم وروى الكافي عن ابي بكر عن ابي عبد الله (ع): في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..) قال : فقال فعرف الابناء عن عمل الاباء فالحقوا الابناء بالاباء لتقر بذلك اعينهم .([٤٢])

---

[٤١] .سورة التكوير: ٦.
[٤٢] . الكافي: نقلاً عن الطباطبائي: تفسير الميزان : ٩/١٩.

على المؤمن ان يحسن تربية اولاده ويغرس فيهم القيم والمبادئ الاسلامية، وأن ينشاهم نشأة ايمانية قدر المستطاع، وأن يرعاهم رعاية محفوظة بالود والمحبة، حتى ينشأ جيل اسلامي قادر على نشر الدين والدفاع عنه، وحتى يرى المؤمن اثر ذلك في حياته وبعد مماته لخبر(اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة: الاّ من صدقة جارية او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له)([٤٢])

ان الله عزوجل اعد لعباده المتقين في الجنة خدما من غلمان مسخرة لراحتهم والقيام على خدمتهم، وهذا من باب التكريم لهؤلاء المتقين الذين قضوا في الدنيا عابدين طائعين لله، صبروا في سبيل مرضات الله وطمعا في ثوابه.

ومن طلب الرجاء والتّبتّل الى الله، وخاف من مقامه امّنه الله عزوجل في آخرته، فلا خوف عليه ولايحزن لنهايته وللفزع الاكبر، قال الله عزوجل: (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)([٤٣])

وفيها تقرير قاعدة في تعامل الرب من العبد، حيث ان الله لا يجمع على عبده أمنين ولاخوفين، فمن خافه في الدنيا امّنه في الاخرة، ومن امنه في الدينا اخافه في الاخرة قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَغى (*) وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا (*) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى (*) وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (*) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى)([٤٤])وفيها تقرر لفضيلة الاشتاق في الدنيا من عذاب الاخرة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ)([٤٥])([٤٦])

فضل الدعاء والتضرع الى الله عزوجل وذلك ان الدعاء من اقوى الاسباب في دفع المكروه، وحصوله المطلوب، وهو من انفع الادوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعهن او يخففه، او اذا نزل، وهو سلاح للمؤمن يستخدمه متى شاء في اي وقت يشاء.([٤٧])

فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا

---

[٤٣] . مسلم النيسابوري: صحيح مسلم: ١٢٥٥/٢، كتاب الوصية، باب مايلحق الانسان من الثواب بعد وفاته رقم الحديث ١٦٣١.
[٤٤] . الاحقاف: ١٣.
[٤٥] . الاحقاف٣٧- ٤١.
[٤٦] . المعارج: ٢٧.
[٤٧] .ينظر: الجزائري، ايسر التفاسير ايسر التفاسير: ج١٧٩/٥
[٤٨] . سعيد القحطاني: شروط الدعاء وموانع الاجابة في ضوء الكتاب والسنة: ص١٧.

يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)

امر الله نبيه (ص) بالثبات على التذكير والوعظ لقومه بالقران، دون مبالاة بمطاعن كفار قريش، فليس هو بالكاهن ولا بالشاعر ولا بالمجنون وانما هو صادق النبوة وقد عرف بيه قومه انفسهم برجاحة العقل واصالة الراي.()[٤٩]

ان الكهانة محضورة ومحرمة في الاسلام، وقد حذرت الشريعة الاسلامية افراد المسلمين من التعامل مع الكهنة، وحذر من الذهاب اليهم وتصديقهم.

ولقد انتظر الكفار المعاندون سوءاً او هلاكاً بالنبي(ص) تخلصاً منه ومن دينه الى الابد كما تربصوا ببعض الشعراء فاهلكوا مع مرور الدهر، فجعل الله هلاك الكفار في معركة بدروغيرها، وفيها ابراز لحقيقة الكفار وفضح نفسياتهم في التربص بالمؤمنين وارادة الشر والسوء لهم، وكفاية الله لعباده المؤمنين شرورهم، تبكيتاً للمجرمين وبشرى للمؤمنين.()[٥٠]

اورد القران الكريم عدة تفريعات وتوبيخات لكفار قريش باسلوب التهكم في حال حياتهم:

منها:

١. انه لا عقل لهم بنحو سليم.

٢.انهم قوم طغوا وتجاوزوا الحد بغير عقولٍ.

٣. زعمهم ان محمداً تقوّل القران الكريم، اي اختلقه وافتراه من تلقاء نفسه.

٤. انهم لم يؤمنوا بالله وروسوله(ص) جحدوا منهم وعناداً واستكباراً، وقد صحّ عندهم اعجاز القران والا (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ...)اي بقران يشبهه من تلقاء انفسهم(إِنْ كانُوا صادِقِينَ) في ان محمداً افتراهن فان كان شاعراً ففيكم الشعراء البلغاء، والكهنة الاذكياء، ومن يرتجل الخطيب والقصائد ويقص القصص، فليأتوا بمثل ما اتى به.()[٥١]

---

[٤٩] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير ٢٧/٧٧.
[٥٠] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير ٢٧/٧٧.
[٥١] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير ٢٧/٧٧- ٧٨.

خلود دعوة التحدي بالاتيان بمثل القران الكريم في بلاغته وفصاحته واعجازه ونبوءاته الغيبة عن المستقبل، وعمومية هذه الدعوة لتشمل كل البشر والعصور.

لقد سفة القران الكريم احلام كفار قريش وقزّعهم ووبخهم في قولهم : الملائكة بنات الله وهذا اشارة الى نفي الشرك، فهل يعقل ان يكون لله البنات، وللبشر البنون؟ ومن كان عقله هكذا فلا يستبعد منه انكار البهث.([٥٢])

اكد الحق من الله تعالى صدق نبوة عبده (ص) بدليل انه لا يطلب اجراً على تبليغ الرسالة.

ان الله عزوجل تكفل لنبيه(ص) بعصمة من الناس ومنع الناس من قتله، قال تعالى: (... وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..)([٥٣]) فمضى النبي(ص) في دعوة الناس الى عبادة الله وحده، ونشر الدين وتعليمه للناس ولم يخش في الله لومه لا ثم، حتى تبعه وانقاد لامر الله وشرعة كبار القبائل ودخل اقوامهم في دين الله افواجا.

فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِكَ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبارَ النُّجُومِ (٤٩)

ان شان الكفار ويدينهم العناد ومكابرتهم للمحسوسات والبراهين الجلية، حتى انهم لو راوا بأعينهم أمارات العذاب النازل عليهم من السماء كالشهب والصواعق، لما ايقنوا ولما امنوا، وظلّوا على كفرهم وتكبرهم عن الحق، وزعموا انه سحاب محمل بالمطر متراكم بعضه على بعض، وليس بصواعق ولا عذاب محمل.([٥٤])

تقرير وخاتمة عاقبة الظلم في الدنيا قبل الاخرة : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)([٥٥])كما وان الايات اشتملت على اسلوب تطميني، تكرر كثيراً منها القران الكريم عامةوفي هذه الايات خاصة: (اصبر، ذر، اترك، لاتحزن، ...) فكان يمد النبي(ص) بالقوة والتاييد والتحمل، ويجعله يستمر في مهمته غير مبالٍ بقوة الكفار وكثرتهم، ويستغرق في عباده الله عزوجل وذكر وهو مطمئن بحسن العاقبة.([٥٦])

---

[٥٢] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير ٨٣/٢٧.
[٥٣] . سورة المائدة: ٦٧.
[٥٤] . ينظر: الزحيلي: التفسير المنير ٨٩/٢٧.
[٥٥] . سورة لقمان: ١٣.
[٥٦] . ينظر: دروزة: التفسير الحديث٣٧١/٥.

حث النبي(ص) على الصبر والثبات انتظارا لامر الله وحكمه، ان الاقبال على طاعة الله والاعتصام بقوة وقدرته وتفويضه الامور اليه يقوي النفس البشرية، وينفخ فيها روح الجد والعزيمة والاقدام والجراة على اداء رسالة الحياة.

ان الله تعالى قد امر النبي(ص) بالاكثار من التسبيح له في كل الاوقات؛ لان هذا التسبيح يجلو عن النفس همومها واحزانهان وينبغي على المؤمن ان يقرر التسبيح والتحميد في نفسه، فانه يفسح لع مضائق الدنيا.()[٥٢]

الاقتداء بالنبي(ص) وسنته وتقريرها في انفسنا، والعمل على تطبيقها في حياتنا ما امكن ذلك .

---

[٥٢] . ينظر: ابن عطية : المحرر والوجيز٥/ ١٩٤، طنطاوي، التفسير الوسيط: ٥٢/١٤.

المحاضرة الثامنة من سورة النجم

تحليل سورة النجم وبيان مقاصدها العامة .

اولاً: مناسبة السورة:

لما خُتمت سورة الطور بأمر للرسول (ص) بالتسبيح والتحميد،(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (*) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)[1] وكان أمره تكوينا لا تكليفا، فكان فاعلا لا محالة، وذلك بعد تقسيمهم القول في النبي (ص) بأنه كاهن وساحر ومجنون، وكان لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها وبمنعها بالجرم من النجوم، افتتحت هذه السورة الكريمة بالحث على الاهتداء بهدي النبي(ص) والاستدلال بدله واتباع أثره، ولما كان من ذلك تسبيحه بالحمد في إدبار النجوم أقسم أول هذه السورة بالنجم على وجه وأعم مما في آخر سورة الطور فعبر بعبارة تفهم عروجة وصعوده إلى السماوات السبع وإلى سدرة المنتهى. ()[2]

قال الإمام الرازي : أول هذه السورة مناسب لآخر ماقبلها لفظا ومعنى، أما اللفظ فلأن ختم الطور بالنجم، وافتتاح هذه السورة بالنجم مع الواو القسم، وأما معنى فنقول: الله تعالى لما قال نبيه (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) [3] بين له جزاه في أجزاء مكايدة النبي(ص) بالنجم وبعده فقال: (ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى).[4]

ثانيا: المعنى الاجمالي للسورة.

هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة، ويبدو القصد فيه واضحا في بعض المواضع، وخاصة في حرف الالف المقصورة (ى) ذلك الإيقاع ذو لون موسيقي خاص، لون يلحظ فيه التموج والانسياب، وبخاصة في المقطع الأول والمقطع الأخير من السورة، وهو يتناسق بتوجه وانسيابه مع الصور والظلال الطليقة المرفرفة في المقطع الأول. ومع المعاني واللمسات العلوية في المقطع الأخير، وما بينهما مما هو قريب

---

[1] . سورة الطور : ٤٨- ٤٩.
[2] . يراجع: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٤١،٤٠).
[3] . سورة الطور: ٤٩.
[4] . الرازي: مفاتيح الغيب (ج٢٨/٢٣١).

منهما في الجو والموضوع. فجاء ما يناسب المعنى لتغيير الفاصلة القرانية للموضوع المنسجم مع سورة القمر التي تاتي بعدها.

والصور والظلال في المقطع الأول، تشع من المجال العلوي الذي تقع فيه الأحداث النورانية والمشاهد الربانية التي يصفها هذا المقطع. ومن الحركات الطليقة للروح الأمين وهو يتراءى للرسول الكريم.. والصور والظلال والحركات والمشاهد والجو الروحي المصاحب، تستمد وتمد ذلك الإيقاع التعبيري وتمتزج به، وتتناسق معه، وتتراءى فيه في توافق منغم عجيب. ثم يعم ذلك العبق جو السورة كله، ويترك اثاره في مقاطعها التالية، حتى تختم بإيقاع موح شديد الإيحاء مؤثر عميق التأثير، ترتعش له كالذرة في الكيان البشري وترف معه وتستجيب. هذه الايات حملت إنذاراً ووعيدا وتذكيرا مهيبا (هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى (*) أَزِفَتِ الآزِفَةُ (*) لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللهِ كاشِفَةٌ (*) أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (*) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (*) وَأَنْتُمْ سامِدُونَ (*) فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُ)) (*)،ختام مناسب، وتوجيه عظيم، وتذكير عجيب مؤثر عميق التأثير.

يقسم الله (ع) في فاتحة السورة الكريمة بالقرآن الكريم المنزل على النبي (ص) عن طريق جبريل (ع) أن محمدا (ص) ما عدل عن طريق الحق، وما حاد عن طريق الهداية، بل هو في غاية الاستقامة، ولا يتكلم بهواه وشهوته، ولا برأيه الذي لا يستند فيه إلى الحق ويصدر منه عن عاطفة وأنانية، إنما يتكلم بما وحي الله إليه، وما القرآن والسنة إلا وحي من عند الله إلى نبيه(ص) وليس من تلقاء نفسه.

---

*. سورة النجم (٥٦/٦٢).

ثالثا: البناء اللغوي في السورة.

في هذه الفقرة سيكون الموضوع في رصد البناء اللغوي والبلاغي ومنه :

(والنجم) الواو: حرف جر وقسم، والنجم: اسم مجرور بالواو وعلامة جره الكسرة، والجاروالمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره (أقسم)،() ويقصد بالنجم اسم غلب على الكوكب او يراد به جنس النجوم، وهو مطلق الجرم السماوي المضيء، وقيل المراد بالنجم القران الكريم لنزوله نجوماً، او الشهاب الذي يرمى به الشيطان() والمعاني الاخير قد لا تساعد في السياق لان المعنى يكون (يهوى النجم سقوطه للغروب) ويمكن ان يكون المعنى البلاغي هو الحاكم، لمناسبة القسم بـ(النجم إذا هوى)، أن الكلام مسوق لإثبات أن القرآن وحي من الله منزل من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هويه، مشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير إنارة معنوية، نازل من محل رفعة معنوية شبه بحالة نزول نجم من أعلى الأفق إلى أسفله، وهو من تمثيل المعقول بالمحسوس، أوالإشارة إلى مشابهة حالة نزول جبريل(ع) من السماوات بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله، تشبيه محسوس بمحسوس.()، والاية (إذا هوى) بمعنى الهَوْي على قول من فسر النجم بالقران: انه نزل من اعلى الى اسفل.() ومحله اسم زمان لما يستقبل من الزمن مجردا عن معنى الظرفية في محل جر بحرف القسم.()[1]

اما قوله تعالى: (ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى) معنى الضلال: عدم الاهتداء الى الطريق الموصل الى المقصود، والصاحب الملازم ويقصد به النبي (ص) فيكون المعنى ان سلوكه لا يانافي الحق وصاحب هذا السلوك النبي (ص)، وجاءت (ما): نافية، والجملة جواب القسم (والنجم).()[2]والتعبير البلاغي والإيثار عنه وصف (صاحبكم) تعريض بأنهم أهل بهتان، وفيه استعارة وتمثيل، لكونه (ص) على الصواب في أقواله وأفعاله.()[3]

وقوله تعالى:(وما ينطق عن الهوى) ويراد بالهوى هوى النفس ورأيها، والنطق وان كان مطلقا دخلت عليه (ما) النافية نفت أن ينطق عن الهوى ويراد بالمقام هنا ما ينطق فيها يدعوكم

---

[6] . ينظر: ياقوت، إعراب القرآن الكريم (ج٩/٤٤٦٣).
[7] . ينظر: الطبابطبائي: تفسير الميزان : ١٩/١٥.
[8] . انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩١-٩٢).
[9] .ينظر: الشوكاني ، فتح القدير: ج٥/١٢٦.
[10] . ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٠)، الدرويش إعراب القران وبيانه (ج٩/٣٤٥).
[11] . ينظر: ياقوت إعراب القرآن الكريم (ج٩/٤٤٦٣).
[12] .انظر: المرجع السابق، الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٤٥).

الى الله او فيما يتلوه عليكم من القران عن هوى نفسه ورأيه بل ليس ذلك لا وحيا يوحى من الله سبحانه وتعالى()؛ وفي فاعل(ينطق) وجهان:

- أحدهما: هو ضمير يعودعلى ضمير مستتر جوازا يعود على النبي (ص)

- والثاني: أنه مستتر جوازا يعود على القران. ()[1]

والجانب البلاغي يبين قوله: (هوى) و(الهوى) جناس شبه التام، فالأول بمعنى هبط ونزل، والثاني بمعنى هوى النفس. ()[1]

وقوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى)الوحي من الايحاء واصل معناه السرعة والايعاز والالهام، والوحي يقصد به الاشارة عن طريق الكتابة واو الرسالة والكلام الخفي وكل ما القية الى غير ذلك مع افادة المقصود دون الكلام()؛ (يُوحى) الجملة الفعلية صفة مؤكدة لوحي، ومتعلق (يوحى) محذوف تقديره: إليه، أي إلى صاحبكم، وترك فاعل الوحي لضرب من الإجمال الذي يعقبه التفصيل، لأنه سيرد بعده ما يبينه من قوله: (فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى)()؛ ولفظ (يُوحى) استعمل لدفع المجاز وتأكيد الإيحاء.()[1]

وقوله تعالى:(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى) الضمير عائد على الرسول (ص) والمفعول الثاني محذوف،أي علمه الوحي. أو قد يعود الضمير على القران، فالمفعول الأول محذوف، أي علمه الرسول(ص).()[1]

وقوله تعالى: (ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى) اي قرب جبريل (ع) من النبي عندما هبط عليه من السماء ثم زاد قربه منه شيئا فشيئاً، والدنو بمعنى القرب، والتدلي التعلق بالشيء، وهنا كناية عن القرب حينما تدلى جبريل اليه (ص) وتعلق النبي به ليعرج به الى السماء.()[2]وفي قوله: (ثم دنا فتدلى) فن القلب وهو المقلوب الذي تقدم فيه ما يوضحه التأخر، وتأخر ما يوضحه التقديم. أي: تدلى فدنا، لأنه تدلى للدنو ودنا بالتدلي.()[2]

---

[13] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٥/١٩.

[14] . ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج٨٣/١٠)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/ ٩٣).

[15] . ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٩٣/٢٧)، الزحيلي، التفسير المنير(ج١٦/٢٧).

[16] . ينظر: الازهري : تهذيب اللغة: ١٩٣/٥، ابن منظور، لسان العرب ج٣٧٩/١٥.

[17] . ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج١٥٥/٨)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٩٤/٢٧).

[18] . انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج٩٦/٢٧).

[19] .انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/١٠)، الطباطبائي: تفسير الميزان : ١٥/١٩.

[20] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان : ١٥/١٩.

[21] . انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٣٤٧/٩).

والفاصلة كل آية من المقطع القرآني جرس ساحر آخاذ في تقطيع لفظي عجي، يصور موضوعا جليل ا ببراعة معجزة. ()[٢]

وقوله تعالى (فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى) ضمير أوحى عائد إلى الله المعلوم من قوله: (إن هو إلا وحي يوحى) فالمعنى: فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه ()[٢٢](فأوحى إلى عبده ما أوحى) وإيثار التعبير عن النبي (ص) بعنوان (عبده) إضهار في مقام الإضمار في اختصاص الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف، وفي قوله: (ما أوحى) إبهام لتفخيم وتعظيم ما أوحى إليه.()[٢٣]

(ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى) الكذب خلاف الصدق، وهنا ممكن القول كذبه بالتعدي الى مفعولين، اي حدثه كذباً، ونفي الكذب عن الفؤاد انما هو بهذا المعنى سواء اخذ الكذب لازما والتقدير ماكذب الفؤاد فيما رأى او متعديا الى مفعولين والتقدير ماكذب الفؤاد – فؤاد محمد – النبي ما راه اي ان رؤية فؤاده فيما راه رؤية صادقة. ويرجح الطباطبائي قرائتها بالتشديد اي (ماكذّبَ الفؤاد)فيكون المعنى ان فؤاده لم يكذب بصره فيما راه بل راى الحق وصدقه واعتقد به وهذه القراءة الى هشام عن ابن عامر()[٢٤]

ويمكن القول ان ما يدعي النبي (ص) من سياق الاية فيما اوحيه اليه من ايات يكون الى فؤاد محمد (ص) وليس اليه لان الرؤية تتحق بالاعتقاد الفؤاد دون البصر وهذا تفسير (ما راى) تدل على فؤاده من اعتقاد وليس بصره لان الله لا يرى بل كما في قوله تعالى: (ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى)()[٢٥]اين ان الرؤية البصر بالمحسوسات ورؤية القلب غير مرؤية.

والدليل الثاني على سياق الأية هو(ما) التي وردة في الاية هي: موصولة، والرابط محذوف، وهو ضمير عائد إلى (عبده) في قوله: (فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى)()[٢٦]أي ما راه عبده ببصره، واللام في قوله: (الفؤاد) عوض عن المضاف إليه، أي فؤاده ()[٢٧]

وقوله تعالى: (أَفَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى) المُراء: اي المماراة والجدال والاقتراء، والمجادلة على سبيل الشك والريبة()[٢٨] او الاصرار على الجدل، وغاية جدالهم هو طعن

---

٢٢ . انظر: الدرويش،إعراب القران وبيانه (ج٣٤٨/٩).
٢٣. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٩٨/٢٧)
٢٤ . انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٩٨/٢٧)
٢٥ . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٦/١٩، ابن زنجلة : حجية القراءات: ٦٨٥/١،
٢٦ .سورة النجم : الاية ١٧.
٢٧ . سورة النجم : ١٠
٢٨ . ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٩٩/٢٧).

بصدق كلام النبي وعروجه في معجزة الاسراء والمعراج التي ابهرت عقولهم، والدليل على ذلك صيغة الاستفهام: استفهام إنكاري خرج للتوبيخ في الخطاب، لأنهم ماروه.()[29]

اما قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) (نَزْلَةً) نصبت النزلة نصب الظروف الذي هو مرة، لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل، فكانت في حكمها، أي: نزل عليه جبريل (ع) نزلة اخرى، أو انتصبت على النيابة عن ظرف المكان، أو على حذف مضاف يتقدير: وقت نزلة أخرى، فتكون نائبا عن الظرف الزمان.()[30]والمعنى انه نزل عليه (ص) نزلة اخرى وعرج به الى السماوات وتراءى له (ص) عند سدرة المنتهى وهو في صورته الاصيلة.

وقوله تعالى:(عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى) (سِدْرَةِ الْمُنْتَهى) هي شجرة نبق في السماء السابعة، وكان(المنتهى) اسم المكان ولعل المراد به المنتهى السماوات والظرف مكان متعلق بـ(رآه).()[31]

وقوله تعالى: (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) الغشيان بمعنى التغطية والستر، بمعنى الاتيان: وهو تعظيم وتكثير لما يغشى السدرة، بومعنى الغشيان الاحاطة الشي به()[32] والظرف الزمان مستقر في موضع الحال من (سدرة المنتهى) أريد به التنويه بما حُفَّ بهذا المكان المسمى سدرة المنتهى من الجلال والجمال.()[33] (إذ يغشى السدرة) فيه بإبهام الموصل وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاه، إذ تلك أشياء لا يعلم وصفها إلا الله (ع).()[34]

(ما يغشى) فيه إبهام للتفخيم الإجمالي، وأنه تضيق عنه عبارات الوصف في اللغة، وتأخير عن المفعول للتشويق إليه، أي: ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كفيا ولا كما، وصيغة المضارع لحكاية الماضية استحضاراً لصورتها البديعة للإيذان باستمرار الغشيان بطرق التجدد.()[35]

وقوله تعالى: (ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى) الزيغ الميل عن الاستقامة، والطغيان تجاوز الحد في العمل، وزيغ البصر ادراكه المبصر على غير ماهو عليه، وطغيانه ادراكه مالا حقيقة

---

[29]. ينظر الازهري: تهذيب اللغة: ٢٠٤/١٥، ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٢٢٧٨.
[30]. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٩٩/٢٧).
[31]. ينظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤٢١/٤)، ابن عاشور، التحرير التنوير (ج٩٩/٢٧).
[32]. ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٣٢٦/٧).
[33]. ينظر: الطبري، جامع البيان: ٥١٩/٢٢، الطباطبائي: تفسير الميزان: ١٩/ ١٧.
[34]. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٠١/٢٧).
[35]. ينظر: المرجع السابق ص١٣.
[36]. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٠١/٢٧)

له، والمراد بالبصر النبي(ص). والمعنى انه (ص) لم يبصر ما ابصره على غير صفته الحقيقية بل ابصار غير خاطئ والابصرا هنا رؤيته بقلبه لا بجارحة العين.([37])

(من آيات ربه الكبرى) يعني لقد رأى من اياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج في مسيره وعدوده، (من آيات) (من) للتبعيض والمعنى: اقسم لقد شاهد بعض الايات الكبرى لربه، وبذلك تم مشاهدة ربه بقلبه فان مشاهدته تعالى بالقلب انما هي مشاهدة آياته بما هي آياته في موضع المفعول، والكبرى صفة لآيات ربه، ومثل هذا الجمع يوصف الواحدة، وحسن ذلك هنا كونها فاصلة.([38])

(أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى)(اللات والعزة) وهي عند المشركين تماثيل للملائكة بدعوى انهم أناث او بعضها للملائكة وبعضها للانسان وكان عند العرب يعبدونها وقد اختلفوا في وصفها، والمواضع التي نصبت فيها ويضاف لها (مناة) وهي ثلاثتها اصنام لملائكة الذين هم بنات الله على زعمه المشركين.([39])

ونوع الاستفهام: استفهام تقريري تهكمي، أي كيف ترون اللات والعزى ومناه؟؟([40])

واما ما يلحق بهذه الاية: (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) والأخرى: صفة لمناة، أو صفة للعزى، لأن الثانية أخرى بالنسبة إلى الأولى.([41])

وقوله تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى* تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى) الاستفهام هنا انكاري مشوب بالاستهزاء وتقديم المجرورين في (ألكم الذكر وله الأنثى) للاهتمام بالاختصاص الذي أفادته اللام، اهتماما في مقام التهكم والتفصية والتوبيخ على أن في تقديم (وله الأنثى) إفادة الاختصاص، أي دون الذكر.([42])(وقسمة ضيزى) اي جائرة غير عادلة؛ وهذه الجملة تعليل للإنكار والتهكم والتوبيخ المفاد من الاستفهام في (ألكم الذكر وله الأنثى)، أي: قد جرتم في القسمة وما عدلتم فأنتم أحقاء بالإنكار.([43])

(إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ..) ضمير (هي) عائد على للات والعزة ومناة او لها بما هي اصنام. في (هي) وجهان:

---

[37]. ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان ١٧/١٩.
[38]. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/١٤).
[39]. ينظر: ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان ٢٠/١٩.
[40]. انظر: ابن عاشور، التحرير التنوير(ج١٠٢/٢٧)
[41]. ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٦٣).
[42]. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٠٦/٢٧).
[43]. انظر: المرجع السابق.

أحدهما: أنها ضمير للأصنام أي: وما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات.

والثاني: أن تكون ضمير الأسماء، وهي اللات والعزى ومناه، وهم يقصدون بها أسماء الآلهة، يعني: وما هذه الأسماء سميتموها بهواكم وشهواتكم ليس لكم على صحة تسميتها برهان تتعلقون به.([48])وتكملة الاياة (ما أَنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) هذه الجملة تعليل لمعنى القصر بطريقة الاكتفاء، لأن كونها لا حقائق لها في عالم الشهادة أمر محسوس، إذ ليست إلا حجارة.([49])

وقوله تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ...) كم: خبريه، ومعناها هنا: التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر (لا تغني).([50])(في السماوات) والسموات صفة لـ(ملك).([51])وقوله تعالى: (لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً) شيئا: مفعول مطلق للتعميم، أي شيئا من الإغناء لزيادة التنصيص على عموم نفي إغناء شفاعتهم.([52])وقوله تعالى: (إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى) هنا يأتي الفرق بين الاذن والرضا ان الاذن اعالم بالقول كي يرتفع المانع والاستئذان فيه واجب، والرضا ملاءمة نفس الراضي للشيء وعدم امتناعها، وايمكن تحقيق الاذن بشيء لكن لا يتحقق الرضا ولا يتحقق الرضا الا مع الاذن بالفعل والقول.

وهنا التفاتة مهمة بهذا الخصوص في تحقق الرضا والاذن من خلال قوله تعال: (لِمَنْ يَشاءُ) ان تحقيق الرضا والاذن الا من الله عزوجل وان ياذن الله الشفاعة من يشاء ان يشفع له من الانسان ويرضى، اي بمعنى اخر ان كثير من الملائكة في السماوات لا تؤثر شفاعتهم اثر الا من بعد ان ياذن الله لمن شاء منهم اي ملائكة ويرضى بشفاعته.([53])

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) الظن خلاف العلم، اي ان العلم هو التصديق المانع من النقيض، والظن هو التصديق الراجح والظن هو ميل النفسل الى احج معتقدين متخالفين دون ان يكون ميلها بحجة ولا برهان([54])الالتفات في (يتبعون) إلى الغيبة، للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم، وحكاية جناياتهم لغيرهم.([55])وقوله تعالى : (...وَما تَهْوَى الأَنْفُسُ...) اي: وما تميل اليه انفسهم وما تشتهيه من غير التفات الى ما هو الحق الذي يجب اتباعه وهو هوى

---

[48]. المرجع السابق، ص٩٧.
[49]. يراجع: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٠٨/٢٧).
[50]. ينظر: أبو حيان، البحر والمحيط (ج١٩/١٠).
[51]. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١١٣/٢٧).
[52]. ينظر: المرجع السابق
[53]. ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان ; ٢٠/١٩.
[54]. ينظر: ابن عطية المحرر الوجيز: ٢٠٢/٥.
[55]. انظر: الألوسي، روح المعاني (ج٥٨/٢٧).

الانفس: وهو ارادتها الملذة لها.[٥٢](وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى) لام القسم في (لقد) لتأكيد الخبر، للمبالغة فيما يتضمنه من التعجيب من حالهم، كأن المخاطب يشك في أنه جاءهم ما فيه هدى مقنع لهم من جهة استمرارهم على ضلالهم استمرارا لا يظن مثله بعاقل.[٥٣]

وقوله تعالى: (أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنَّى) المراد بالمعنى هنا طمع الكفار من شفاعة الالهة وهو تمنٌ على الله في غاية البعد، فالمعنى المترتب على ذلك هو ان ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور والتي من جملتها اطماعهم الفارغة والمرجوة من شفاعة الالهة التي يعبدونها التي لا تدخل تحت الوجود .[٥٤]

(فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولى) بينهما طباق يوضح المعنى ويؤكده.

في قوله: (أَ فَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (*) وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى (*) أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى) مراعاة الفواصل وتوافق رؤوس الآيات الذي له وقع على السمع.[٥٥]

وفي قوله تعالى: (تَسْمِيَةَ الْأُنْثى) اي أنّ المشتركين يصفون الملائكة باوصافه الانوثة، والمراد من بتسميتهم الملائكة تسمية الانثى قولهم: ان الملائكة بنات الله فالمراد بالانثى الجنس اعم من الواحد والكثير.[٥٦]

وقوله تعالى :(وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ..) هذه الجملة حال من ضمير (يسمون)، أي يثبتون للملائكة صفات الإناث في حال انتفاء علم منهم بذلك، وإنما هو تخيل وتوهم إذ العلم لا يكون إلا عن دليل لهم. والهاء في (به) تعود على الأسماء، لأن التسمية والأسماء واحد.[٥٧]وقوله تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ..)، اي ما يتبعون في تسمية الملائكة بالانثى الا مجرد الظن والتوهم، وتقليد الاباء.[٥٨]والظن هنا يطلق على التوهم.[٥٩]

---

[٥٢] .الشوكاني: الفتوح القدير: ١٣٢/٥.
[٥٣] . يراجع: المرجع السابق، ص١١٠.
[٥٤] .ينظر: الزمخشري: الكشاف: ٤٢٤/٤.
[٥٥] . انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج١٠٧/٢٧).
[٥٦] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ٢٠/١٩.
[٥٧] . انظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج٧١٦٢/١١)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١١٥/٢٧).
[٥٨] . ينظر: محمد صديق الخان: فتح البيان : ٢٦٠/١٣.
[٥٩] . ينظر: الطباطبائي: تفسير الميزان: ٢١/١٩.